# سيطرة الترك على الخلافة العباسية ونتائجها (٢٤٧- ٣٣٤هـ)

الأستاذ الدكتور/ أسامة عبد الرحمن الأمين عبد الله

أمين الشؤن العلمية الكلية الوطنية للدراسات الطبية والتقنية– السودان

**المستخلص**: أن أول من جاء بالترك للخلافة العباسية هو الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨– ٢٢٧هـ) وذلك لعدة أسباب تتمثل في أنه يريد الابتعاد عن الهيمنة العربية وكذلك الابتعاد عن الهيمنة الفارسية، إضافة إلى الخصائص التي تميز بها الترك من قوة وشجاعة، وقد اثبت الترك هذا الأمر عندما تحقق النصر الكبير في عمورية ويعود الفضل فيه للترك. لقد سيطر الترك على الخلفاء العباسيين في الفترة من ٢٤٧ وحتى ٣٣٤هـ لدرجة أن فترة الخليفة تطول أو تقصر حسب علاقته بهؤلاء الترك.

**تهدف هذه الورقة للآتي:**

- التعرف على الكيفية التي ظهر بها الترك على مسرح الأحداث.
- الوقوف على الكيفية التي وصلوا بها إلى الخلافة العباسية.
- استعراض العلاقة بين الترك والخلفاء العباسيين في الفترة موضوع الدراسة.
- تقييم نتائج سيطرة الترك على الخلافة العباسية.

**مدخل**: تميز هذا العصر حسب ما تناقله المؤرخون المعاصرون ومن تبعهم أو نقل عنهم أن الخلفاء العباسيين في هذه الفترة كانوا تحت سيطرة وهيمنة الترك بل ذهب البعض إلى القول بتعرض الخلفاء للعزل والقتل من قبل هؤلاء الترك[١]

اتسم هذا العصر بضعف الخلفاء لذلك ظهرت في آفاق العالم الإسلامي حركات استقلالية عديدة شرقاً وغرباً، رغم ذلك لم يخلو هذا العصر من بعض الخلفاء الأقوياء حاولوا أن يغالبوا التيار الانهزامي بيد انه غلبهم[٢]، الحقيقة أن الأمر لم يكن ضعف أشخاص الخلفاء فحسب بقدر ما كان ضعف نظام الخلافة نفسه[٣]، كانت الخلافة العباسية تستمد قوتها من مصادر متعددة هي:

١- دعوة عباسية منظمة.

٢- قوة وصلابة رؤساء التنظيم العقيدي.

٣- شبكات الدعاة وأنصار الدعوة في الأقاليم.

---

(١) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، تاريخ الأمم والملوك، ج٩، طبعة دي غويه ليدن ١٨٨١م، القاهرة ١٣٢٦هـ، ص١٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ص١٥٦– ٢٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ص١٩٦.

هذه المصادر ضعفها يؤدي بكل تأكيد إلى إضعاف الخلافة أو قد يؤدي إلى سقوطها كما حدث بعد الخليفة المتوكل (٢٣٢– ٢٤٧هـ) لأن الخليفة فقد صفته كرأس لذلك التنظيم الذي سيطر على الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول[١]

دفع خوف العباسيين من سقوط الخلافة إلى التماس عصبية جديدة قدر لها أن تلتهم ما بقي للخلافة من نفوذ فقد أبعدت الخلافة العرب والفرس لتستعين بالترك الذين استبدوا بالخلفاء واغتالوا سلطانهم ثم استعانت بالديلم للتخلص من الترك فكان حالها كما هو مع الترك ولجأت للترك والسلاجقة بعد الديلم، لكنها ظلت تخضع لتسلط كل هذه العصبيات الواحدة تلو الأخرى[٢]

**ظهور العنصر التركي**: في العصر العباسي الثاني ظهر في العالم الإسلامي عنصر جديد بجانب العنصرين العظيمين، العرب والفرس هو عنصر الترك الذي كان له أثر كبير في الحياة السياسية والاجتماعية في الأمة الإسلامية[٣]

عرف العرب الترك بعد فتح بلاد ما وراء النهر على يد قتيبة بن مسلم الباهلي في العصر الأموي وعرفوا فيهم عنصرا محاربا من الطراز الأول. وقد نال الترك في بلادهم حقوقا كبيرة في العصر الأموي لم تنل مثلها الشعوب التي خضعت للعرب في الفتوح الأولى، وعلى عهد الخلفاء الراشدين أشركهم العرب في الجندية وأشركوهم في غزو بلاد ما وراء النهر من بلاد الترك، وأبقوا على ملوكهم وعلى نظامهم في الحكم وكانوا يحالفون الدولة الإسلامية ويخضعون لولاتها الذين كانت لهم السلطة العليا وتؤيدهم حاميات عربية قوية في المراكز الهامة[٤]

ساهم الترك في الحياة الإسلامية وأخذوا يظهرون على مسرح الأحداث في بغداد وقد كان ظهورهم قد بدأ في الوضوح منذ عهد الخليفة الأمين الذي لم يكن يطمئن إلى الفرس فقد رأي طموحهم إلى السلطة بما رأى من نفوذ بني سهل وبما علم من طموح أبي مسلم الخرساني ومن نفوذ البرامكة من قبل، لذلك أحب أن يوجد توازن بين العنصرين الكبيرين الفرس والعرب فبدأ يستخدم المحاربين الترك وأخذ يلحق فتيانهم الذين يرسلهم ولاه الأقاليم الشرقية بالجندية[٥].

تلقف الخلفاء بعد المأمون العصبية النامية وأرادوا أن يستغلوا مواهبها الحربية للحفاظ على دولتهم والإبقاء على خلافتهم، لذلك أقبل المعتصم على استخدام الترك في الجيش على نطاق واسع فقد استقدم قوم من بخاري وسمر قند وفرغانه وأشر وسنة وغيرها من بلاد تركستان، اشتراهم وبذل فيهم المال وأمعن في شرائهم حتى بلغ عددهم سبعين ألفا وكانوا يتكلمون التركية وأخذوا يتعلمون العربية[٦]

---

(١) المصدر نفسه، ص٢.

(٢) الخطيب البغدادي (الحافظ أبو بكر احمد بن علي، تاريخ بغداد أو (مدينة السلام)، ج١، القاهرة، ١٣٤٩هـ– ١٩٣١، ص٢١٢.

(٣) الطبري، مصدر سابق، ج٩، ص١٥٦.

(٤) المصدر نفسه، ص١٥٦– ٢٦٦.

(٥) الخطيب البغدادي، مصدر سابق، ج١، ص٢١٢.

(٦) المسعودي (أبو حسن علي) كتاب مروح الذهب ومعادن الجوهر، القاهرة ١٣٤٦هـ، ليدن ١٩١٤م، ص٢١٨

حرص المعتصم (٢١٨- ٢٢٧هـ) على أن تبقي دماؤهم متميزة ليحفظ لهم سيرتهم الجنسية فجلب لهم نساء من جنسهم زوجهن بهم، ومنعهم أن يتزوجوا من غيرهن ومن هنا بدأت تتكون شيئا فشيئا عصبية جديدة في العالم الإسلامي إلى جانب العرب والفرس[١]

**ظهور الترك علي المسرح السياسي**: الأمر الذي أدى بالمعتصم إلى الاتجاه نحو الترك يتمثل في الآتي:

**أولا**: أراد الخليفة أن يضع توازنا بين العنصرين الكبيرين العرب والفرس وكان العنصر الفارسي الخرساني عماد الدولة نحو قرن من الزمان، كما كان منهم حرص الخلفاء وإلى جانبهم عنصر العرب من مضر وربيعة واليمن وكان هؤلاء أقل. أن ثقة المعتصم بالفرس بدأت تضعف بعد أن رأى كثير من الجند لما مات المأمون كان هواهم مع أبنه العباس تعصبا لأبناء المأمون الذي كانت أمه فارسية فقد تشيعوا على المعتصم. وطلبوا العباس ونادوا بالخلافة له، وكادت أن تقع الفتنة لولا تداركها من قبل العباس الذي بايع عمه وخرج إلى الجند وزجرهم[٢].

**ثانيا**: كانت أم المعتصم تركية من الصفد وقد شابه المعتصم أخواله في كثير من طباعة النفسية وصفاته الجسدية من القوة والشجاعة ومتانة الجسد فدعته العصبية التركية والتشابه الخلقي والنفسي أن يفكر في استدعاء الترك ففعل[٣].

**ثالثا**: أخذ نفوذ الترك يتزايد بتأييد الخلفاء لهم ورفع مكانتهم، ذلك أن الواثق استخلف ٢٢٨هـ على السلطنة اشناس التركي وألبسه وشاحين وتاجا لذلك يعتبر الواثق أول خليفة استخلف سلطانا تركيا.

**رابعا**: ثار العرب في الجزيرة العربية فنكل بهم قواد العباسيين وكان لذلك أثر كبير في نفوس العرب وحملهم على الانصراف عن تأييد العباسيين فعلا شأن الترك على حساب العرب[٤].

**عصر نفوذ الترك**: انتقلت عاصمة الخلافة من بغداد إلى سامراء بعد أن بناها المعتصم وأقطع القطائع فيها لجنده الترك وظلت سامراء عاصمة للدولة ما يقرب من خمسين عاما، لقد تمكن الترك في عصر الخليفة المعتصم من إظهار سيطرتهم على مقاليد الأمور، وكذلك في عهود من تلاه من الخلفاء، ومن أبرز الشخصيات التركية أيتاخ واشناس ووصيف وسيما الدمشقي وكان هؤلاء غلمانا من الترك مملوكين لبعض الأشخاص فاشتراهم المعتصم وقربهم إليه ورفع من قدرهم، ومن هؤلاء الترك المقربين حيدر ابن كاوس الملقب بالأ فشين وهذا اللقب كان يلقب به ملوك أشر وسنة وهي كوره من بلاد ما وراء النهر[٥].

---

(١) ابن كثير (عماد الدين إسماعيل) البداية والنهاية في التاريخ، السعادة بمصر والقاهرة (٣- ١٠)، ص٢٩٧.

(٢) الطبري، مصدر سابق، ص٣٠٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٤٣- ٣٤٨.

(٤) السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر جمال الدين) تاريخ خلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الله، القاهرة، ١٣٣٧م، ص٩٧.

(٥) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٠، ص٢٢٨- ٢٢٩.

خدم الترك الدولة في عهد المعتصم وابنه الواثق، وكانوا سندها في حروبها وفي القضاء على الثورات، كما كانوا عماد الجيش في غزوة عموريه وغزوة الروم كما قضى الأ فشين على ثورة بأيك الخرامي وثورات العرب في جزيرة العرب(١).

بدأ للترك نفوذ خاص وبدأ بعضهم يتجه لتكوين دولة خاصة يحكمها سواء تحت ظل الخلافة أو منفصل عنها أحس المعتصم بخطورة مطامع الترك وبدأ يدرك أن التوازن بين السلطة والخلافة وهذا العنصر الجديد بدأ يختل مما ينذر بخطر ضياع هيبة الخلافة وسلطتها وبهذا وجه ضربة للترك شبيهة بالضربة التي وجهها أبو جعفر المنصور للخرسانيين بعد مقتل أبي مسلم الخرساني فبطش المعتصم بالأ فشين ليكون عبرة لغيره(٢).

تعتبر خلافة الواثق بن المعتصم ٢٢٧هـ- ٢٣٢هـ فترة انتقال بين عهدين الأول منهما هو عهد تمكن الترك مع بقاء هيبة الدولة، والثاني زوال هيبة الخلافة وانحدار مكانته.

امتاز عهد الواثق بتمكن الترك الذين صنعهم المعتصم وثبت أقدامهم ونال رؤساؤهم منزلة عظيمة ونفوذا كبيرا وبلغ من نفوذهم أن الواثق استخلف اشناس على السلطنة وأسند إليه الجزيرة وبلاد الشام ومصر كما عهد إلى إيتاخ بولاية خراسان والسند وكوره دجلة(٣).

ظل هذا القائد يتقدم في منزلته وعندما جاء عهد المتوكل كان قد بلغ قمة منزلته فكان إليه قيادة الجيش وإدارة الكثير من أمور الخلافة وبذلك ازداد النفوذ التركي داخل العراق وخارجه(٤).

**عهد تفوق الترك**: تولى المتوكل الخلافة بقوة النفوذ التركي (٢٣٢- ٢٤٧هـ)، وكان المتوكل يبغض الوزير محمد بن عبد الملك الزيات لأن الوزير كان من مناصري الواثق، وعهد المتوكل لايتاخ بحبس وقتل هذا الوزير، بعد ذلك أراد المتوكل التخلص من الترك، لذلك حبس إيتاخ وقتله، وهو يحاول بذلك إبعاد الترك من التدخل في اختيار الخلفاء(٥).

**خلافة المنتصر: أبو جعفر محمد المنتصر بالله ٢٤٧- ٢٤٨هـ/ ٨٦١- ٨٦٢م**

بلغ الترك بعد قتلهم المتؤكل أعلى درجات القوة والسلطان وضغطوا على المنتصر لإبعاده أخويه عن ولاية العهد، ولكنه في المقابل حاول التخلص من سلطاتهم لأن أدرك خطأئه وأبدا أسفه على ما فعله بوالده فقد كان أول خليفة يتهم يقتل أباه، وما أن انقضى على حكمه ستة أشهر حتى مات وبديهي أن موته هذا ليس طبيعيا ولابد أن يدا قد تناولته بالسم والقتل.

**خلافة المستعين: أبو العباس أحمد المستعين بالله (٢٤٨- ٢٥١هـ/ ٨٦٢- ٦٦هـ)**

استبعد الترك ابني المتؤكل عن الحكم فعادوا إلى ابن المعتصم قائدهم الأول فكان تعيين المستعين صوريا وأسميا حيث كان الوزير التركي هو القائم بالأعمال كافة، ولكن ثار عليه بقية القادة أمثال وصيف وبغا وقتلاه في سنة ٢٤٩هـ،

(١) الطبري، مصدر سابق، ج٣، ص٨.

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، القاهرة، ص١٣٥.

(٣) حسن أحمد محمود، وأحمد ابراهيم الشريف، مرجع سابق، ص٣١٨.

(٤) اليعقوبي (أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واصح)، تاريخ اليعقوبي، مطبعة دي غويه، ليدن ١٨٩٢م، ص١٢.

(٥) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، القاهرة ١٩٥٩م- ص٣١٨.

بعد ذلك كثرت الفتن والقلاقل وكان وصيف وبغا هم أصحاب القوة وأقرب إلى الخليفة فحقد عليهم القائد التركي بأغر وفكر في قتلهما بالاتفاق مع الخليفة ولكن نكشف أمره وقتل، وهرب الخليفة إلى بغداد ورفض الرجوع إلى سامراء.

**خلافة المعتز: أبو عبد الله محمد المعتز بالله ٢٥١هـ/ ٨٦٦م**

وقعت الحرب بين المعتز والمستعين الذي كان في بغداد وقائده محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين وقد التحم مع عيارو بغداد، وكان المعتز مع الترك في سامراء في المقابل كان أهل بغداد أكثر عددا من الترك، وقد حاول الاثنان الحصول على الأموال وازدادت الأحوال سوءا، حتى تم الاتفاق على تنازل المستعين للمعتز، الخليفة المعتز لم يستطيع العمل مع الترك فقد انقسموا عليه وطالبوه بالرواتب ولم يستطيع أن يؤديها وأخيرا هجم الترك على القصر وأخذوه وأرغموه على التنازل عن الخلافة لابن الواثق الملقب بالمهتدي.

**خلافة المهتدي بالله: محمد بن هارون الواثق ٢٥٥- ٢٥٦هـ**

كان رجلا تقيا محبا للخير والعدل واقتدى بسيرة عمر بن عبد العزيز لذلك أحبه الناس، حاول القضاء على الترك بالفتنة والإيقاع بهم وأخيرا قتل قائدهم، لذلك ثاروا عليه وقتلوه وأحضروا أحمد بن المتؤكل وعهدوا إليه بالخلافة باسم المعتمد.

**خلافة المعتمد على الله: أحمد بن جعفر المتوكل ٢٥٦- ٢٧٩هـ**

عمل على إصلاح أحوال العرب واستعان بأخيه الموفق في إدارة البلاد المدنية والعسكرية، وقضى على سيطرة الترك وأجبرهم على الولاء والطاعة وفي عهده كانت حركة الزنج والتي كان أسبابها تكمن في تضعضع الخلافة العباسية بجانب الأسباب الأخرى.

**خلافة المعتضد: أبا العباس أحمد المعتضد بالله ٢٧٩- ٢٨٩هـ**

هو ابن الموفق ولقب بالسفاح لقوته وحسمه وحارب الدولة البيزنطية وحصل على القلاع والحصون، وفي عهده أبطل الاحتفال بيوم النيروز وغير بداية العام من مارس إلى يونيو.

**خلافة المكتفي: أبو محمد علي المكتفي بالله (٢٨٩هـ- ٢٩٥هـ/ ٩٠٢- ٩٠٨م)**

ازدادت الأحوال سوء وضعفا وقويت سيطرة الترك مع ضعف نفوذ الخلفاء العباسيين مما أدى لظهور العديد من الدويلات المستقلة في أنحاء الخلافة العباسية ولكنه ظل يحاربهم حتى توفى، نستخلص من ذلك:

كان عهد الخلفاء الخمسة الأوائل عهد تفوق العنصر التركي وهم المتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي، واستطاعت الدولة ان تسترد نفوذها ثم عادت إلى الانتكاسة مرة أخرى في عهد المقتدر والقاهر الذين كثرت في عهدهم الدسائس والفتن وتناقصت موارد الدولة المالية حتى عجزت الخلافة عن تسيير دفة الحكم(١).

ثم جاءت بعد ذلك خلافة المقتدر بالله: جعفر بن احمد المعتضد ٢٩٥- ٣٢٠هـ ومن بعده الخليفة القاهر بالله: محمد بن احمد المعتضد ٣٢٠- ٣٢٢هـ(٢)

(١) اليعقوبي، مصدر سابق، ص٢٠٨.

(٢) محمد توفيق أحمد محمد خفاجي، أثر الأتراك السياسي والاجتماعي في العراق في القرنين ٣- ٤هـ، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، (ب. ت)، ص٢٥.

**خلافة الرضي بالله محمد بن احمد المعتضد (٣٢٢- ٣٢٩هـ)**

جاء عهد الراضي (٣٢٢- ٣٢٩هـ) الذي ظهر في عهده منصب أمير الأمراء الذي انتقلت إليه كل سلطات الخليفة وكل اختصاصات الوزير ولم يبق للخليفة من منصبه إلا الاسم انتهى عهد الترك وحل محلهم الديلم فورثوا سلطة أمير الأمراء(١).

وبعد الخليفة الراضي جاء المتقي لله: إبراهيم بن جعفر المقتدر ٣٢٩- ٣٣٣هـ، ثم تلاه المستكفي بالله: عبد الله بن علي المكتفي ٣٣٣- ٣٣٤هـ.

## عهد إمرة الأمراء (٣٢٤- ٣٣٤هـ/ ٩٣٩- ٩٤٨م):

ظهر هذا المنصب في عهد الخليفة الراضي عام ٣٢٤هـ، وأول من أسند إليه هذا المنصب محمد بن رائق(٢).

المنصب عبارة عن نقل كل سلطات الخليفة إلى قائد تتوفر فيه صفات الرئاسة العسكرية ويجمع إلى جانب الصفة العسكرية صفات واختصاصات مدنية ومن هذا يقال عن بعض الوزراء أنهم أصحاب سيف وقلم. إذا جمعوا بين الاختصاصات الحربية والمدنية فيرمز للسيف بالاختصاص الحربي وبالقلم بالاختصاص المدني لم يكن نظاما مقررا، بل كان استثناء عارضا يلجأ إليه الخلفاء مؤقتا ثم يعود إلى النظام الطبيعي وهو الفصل بين السلطات، وهو مبدأ قديم عرف عند العرب وظل مطبق في التنظيم الإسلامي(٣).

كان أمير الأمراء يتولى إمرة الجيش ثم المناصب المالية فهو يتولى الخراج والمعادن في جميع البلاد وهو ينظر في جميع الدواوين ويختار لها الرجال، ويتصرف فيها كما يريد، صارت بيوت الأموال القديمة تابعة له وأبطل الدواوين والوزارة وأبطل كل شيء، وكان له الحق أن يخطب له في المنابر إلى جانب الخليفة ونقش اسمه على السكة (العملة) (٤).

كان أمير الأمراء يتمتع بكثير من مظاهر الحفاوة وقد تطور هذا المنصب على أنقاض نظام الوزارة(٥).

**أسباب ظهور إمرة الأمراء**: تعددت الأسباب التي أدت إلى ظهور إمرة الأمراء ومن هذه الأسباب:

**أولا**: كان ظهور هذا المنصب على أنقاض الوزارة، ويمثل تطور في النظام الإسلامي حيث كان الخليفة يتولى بنفسه حقيبة جميع السلطات يعاونه جماعة من الناس والكتاب وسمي هؤلاء الكتاب بالوزراء منفذين لأوامر الخليفة ويسمون وزراء تنفيذ، فعظم شأنهم حتى أصبحوا وزراء تفويض من قبل السلطان والذي كان بيد الخلفاء، وعندئذ يعتبرون مفوضين من قبل الخلفاء وتسمى وزارتهم عند الفقهاء وزارة تفويض(٦).

---

الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي)، الأحكام السلطانية القاهرة ١٣٩٨هـ، ص٢٢- ٢٩.

(١) حسن أحمد محمود، حضارة مصر في العصر الطولوني، القاهرة ١٩٦٠م، ص٢٣٠.

(٢) الصولي (أبو بكر محمد) كتاب أخبار الراضي والمتقي لله، مطبعة الصاوي الصياد القاهرة، ص٢٤٦- ٢٤٧.

(٣) الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي)، الأحكام السلطانية القاهرة ١٣٩٨هـ، ص٢٢- ٢٩.

(٤) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، تدقيق خليل شحاته، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠١، ج١، ص٤١٠.

(٥) المصدر نفسه، ص١١٢- ١١٣.

(٦) الصولي، اخبار الراضي، ص٣٠.

**ثانيا**: الواقع الاقتصادي والثورات جعلت الدولة عاجزة عن القيام بدورها، مثل ثورة العلويين وحركة الزنج والقرامطة، وقيام الدولة الثغرية التي استقلت عن الخلافة، كما استبدت بعض الشخصيات وانفردت بالحكم، كخوزستان وخراسان والأهواز في يد البريدي وفارس في يد عماد الدولة بن بويه وشمكير أخو مزراديح بن زياد، مصر والشام في يد ابن طغج الأخشيد والمغرب وأفريقية في يد العبيديين، وبلاد ما وراء النهر في يد بنو سامان وطبرستان في يد الديلم وحتى العراق نفسه خرجت منه أطراف كثيرة كالموصل ديار بكر ومضر وربيعه في يد بني حمدان واليمامة في يد بنو طاهر القرمطي وبذلك أصبح أيراد الرقعة الباقية من العراق ضعيفا جدا[١].

**ثالثا**: تحايل الخلافة للحصول على الأموال للحفاظ على كبريائها ورفع المكانة الحربية[٢].

**رابعا**: الظروف العسكرية، تعتبر من الظروف التي مهدت لظهور إمرة الأمراء، وذلك لأن الجند من الترك وغيرهم كالديلم كانوا يستبيحون لقوادهم وعصبياتهم وينقادون لمصالحهم الخاصة أكثر مما ينقادون للمصالح العامة أو الخلافة وفتنهم المال فهم يخدمون حيث يوجد المال، ولذلك استتبع العجز المالي ضعف في قوة الجيش الذي يمكن أن تتصرف فيه الخلافة وأن الجند يخدم لمن هو يدفع أكثر وبذلك عظم نفوذ القواد حتى سيطروا على شئون الدولة. وعلى مقدرات الخلافة وكان لقواد الجيش مال خاص يغري به الجند ويدفعهم ضد الخلافة[٣].

وهكذا أدت الأزمة الاقتصادية التي حلت بالخلافة وكذلك تحكم العنصر التركي وسوء تصرف زعمائه إلى أن تلجأ الخلافة إلى هذا الحل الذي وصلت إليه وهو إنشاء منصب إمرة الأمراء[٤].

**العراق في ظل منصب إمرة الأمراء (٣٢٤- ٣٣٤هـ):**

كان الخليفة الراضي عاجزا بسبب الأحوال الاقتصادية وإلى جانبه وزيره المشهور ابن مقله الذي كان من الخطاطين ومن الكتاب المعروفين بجمال الأسلوب إلا أنه كان وزير لخليفة ضعيف لم يملك إلا الإيقاع بالشخصيات السياسية في مكائد لكي يتصرف فيهم فليست له من الشخصية ولا القوة ما يستطيع به أن يفرض كلمته[٥].

كان أمير الأمراء ابن رائق يجمع بين يديه السلطة الحربية والمدنية وهو مفوض تفويضا عاما من الخلفية بتدبير الأمور المدنية وقيادة الجيش، إلا أن ابن رائق كان لا يستطيع الخروج مع الجيش بل كان يوكل قيادة الجيش لمن يتوسم فيهم الإخلاص وكان اعتماده على بجكم التركي. ثالث الشخصيات العراقية في عام ٣٣٦هـ هو البريدي[٦] وهو رجل

---

(١) الماوردي، مصدر سابق، ص٢٢- ٢٩.

(٢) ابن خلدون، مصدر سابق، ج٣، ص٤٠- ٤٢.

(٣) الصولي، اخبار الراضي، ص٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ص١٤٥.

(٥) المصدر نفسه، ص٢٧.

(٦) البريدي: هو أبو عبد الله البريدي، كان كاتبا لياقوت وإلى الأهواز من قبل الخلافة، وفي سنة ٣٢٦هـ وصل البوهيون في هجرتهم نحو الجنوب من إقليم طبرستان إلى هذه الولاية، واستطاعوا انتزاعها من واليها ياقوت، وذلك لأن البردي خان سيده، ولم يتعاون معه، وقد كان البريدي يعمل على التخلص من ياقوت والوثوب على ولايته (ابن خلدون، مصدر سابق، ج٣، ص٣٩٦؛ ابن الأثير (علي بن محمد) الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٦م، ج٨، ص١٠٦.

طموح وصل في سلك الإدارة من الوظائف الديوانية الصغيرة إلى الوظائف العليا المدنية والحربية ولم يكن من رجال الحرب[١].

يمكن أن نصف العراق في هذه المرحلة بثلاثة معسكرات معسكر الخليفة، ومعسكر أمير الأمراء وهذا يملك حقيقة السلطات ويملك اسم السلطات أما المعسكر الثالث هو فريق البريدي وهو يعمل لحسابه ويطمع أن يبلغ إمرة الأمراء[٢].

إن كل قائد من قواد هذه الجيوش كان يعمل لحسابه الخاص ويوجه جنده لمصلحته الخاصة وهي الوصول إلى أعلي مركز[٣].

كان البريدي أشهر هذه الشخصيات مكرا وأكثرهم ظهورا على مسرح السياسة فهو مشترك في كل شيء، لقد كان أبو عبيد الله البريدي كاتبا لياقوت والي الأهواز من قبل الخلافة في ٣٢٦هـ وقد وصل البويهيون في هجرتهم نحو الجنوب من طبرستان إلى هذه الولاية، واستطاعوا انتزاعها من واليها ياقوت وذلك لأن البريدي خان سيده ولم يتعاون معه، وكان البريدي يعمل على التخلص من ياقوت والوثوب على ولايته، فكان ذلك في صالح بنو بويه فأنتصر بنو بويه على ياقوت وثم تركوا الأهواز وعادوا إلى شيراز التي اتخذوها عاصمة لهم، وبذلك ساء مركز البريدي الذي أصبح خائنا للخلافة ولأمير الأمراء ابن رائق ففر البريدي إلى بنو بويه[٤].

اتفق البريدي مع بني بويه على فتح الأهواز بتسيير جيش مشترك من البويهيين وممن مع البريدي من الجنود الترك الذين تحولوا إلى مرتزقة يبيعون سيوفهم لمن يدفع لهم نقدا أكثر استطاع الجيش المشترك السيطرة على الأهواز إلا أن الشريكان لم يستطيعا الاتفاق طويلا. كان البريدي يتوهم أن بنو بويه كانوا يساعدونه ثم يرجعون مكتفين بأن يحكم في البلاد باسمهم وأن يكتفوا بالتبعية الاسمية[٥].

كان البريدي في أزمة حيث توالت عليه الهزائم فهو حين أوى إلى البصرة كان مهزوما[٦].

اكتشف ابن رائق مؤامرة ابن مقله وعاقبه عقابا صارما بأن قطع يديه، إلا أن اكتشاف المؤامرة لم يمنع من أن تتم وتحقق غايتها. فقد قلت الثقة بين ابن رائق وبجكم، فحدث الانقسام في جبهة أمير الأمراء فأخذ كل واحد منهما يسعى لتقريب البريدي، لأن في ذلك فرصه يطمئن فيها على مكانته في البصرة[٧].

(١) ابن خلدون، مصدر سابق، ص٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٨- ٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٩٦.

(٤) ابن الأثير، مصدر سابق، ص١١١.

(٥) الصولي، اخبار الراضي، ص٣٠- ٣١.

(٦) المصدر نفسه، ص١٠٥.

(٧) ابن خلدون، مصدر سابق، ج٣، ص٤٧٦.

أما بجكم فقد وجد نفسه بين هاتين القوتين ولكي يتخلص من البريدي عبأ جيشا وسار نحو البصرة، فلما تمكن الخوف من قلب البريدي عرض عليه بجكم الصلح والاتفاق فتصالحا صد ابن رائق، فكان البريدي قد غير حلفه في سنة واحدة(١).

**بجكم أمير الأمراء**: رجع بجكم لبغداد من بعد ان أمن ظهره فأرجع ابن رائق وولاة أمرة الأمراء. وجعل البريدي وزيرا لم ينتقل البريدي إلى بغداد لتولي الوزارة بنفسه إنما عين نائبا عنه في ذلك المنصب تصاهر البريدي وبجكم وصارا متضامنين في كل شيء واستقر أمر إمرة الأمراء وظل هذا الجو خالي من التقلبات ما بين ٣٢٦هـ- ٣٢٩هـ ودبت الآمال في الحياة الجديدة فاتفقا على أن يستعيدوا إلى ملكية الخلافة أقاليم الجبال الشمالية(٢).

وضع الطرفان الخطة على أن يخرج بجكم من بغداد إلى مدينة حانقين، ثم إلى حلوان وأن يقف البريدي عند الطريق بين الأهواز والعراق مدينة (واسط)، عندئذ حدثت ظاهرة غريبة هي أنه بمجرد ابتعاد بجكم عن العراق عاد إليه جو الريبة القديم، فشك في صهره البريدي وخاف أن ينتهز فرصة غيابه فيقصد لنفسه بعض المناصب والمصالح، لذلك ترك تنفيذ الخطة المتفق عليها فعاد من حلوان نحو البصرة ٣٢٦هـ وتبعه بجكم وجنوده، لكن بجكم قتل عند خروجه للصيد، وقبل مقتله بقليل مات الخليفة الراضي في بغداد وتولى المتقي الخلافة (٣٢٩- ٣٣٣هـ) (٣).

تحسن موقف البريدي بعد موت بجكم حتى ظن الناس أن إمرة الأمراء ليس لها في هذا الظرف إلا البريدي فطمع البريدي في منصب أمير الأمراء، وجاءه جنوده بجكم انضم جزء منهم إليه، وانضم الجزء الآخر إلى الحمدانيين بالموصل وتوزع الجيش نفسه على هذا النحو، وذلك لأن الجند كانوا يشتغلون بالسياسة فالذين انضموا إلى البريدي كانوا يرون أنهم رجال الساعة، ولم يخيب ظن الطرفين فقد آل الأمر للبريدي أولا ثم لبني حمدان ثانيا(٤)

**البريدي في بغداد**: زحف البريدي بجيوشه نحو بغداد ودخلها دون عناء ولم يلق مقاومة إلا أن الخليفة المتقي لم يكن يحب البريدي بل كان يحتقره، ولهذا لم يأذن له بين يديه ولم يخرج له لتقليده إمرة الأمراء. واكتفي بأن جعله وزيرا، لكن الوزير إذا جمع إلى منصبه المدني قيادة الجيش كان في حكم أمير الأمراء تماما وهكذا وصل البريدي إلى أمرة الأمراء الفعلية على الرغم من عدم تقليد الخليفة له رسميا(٥).

تراجع البريدي إلى البصرة بعد ستة أشهر ولم يكن الخليفة مخطئ حين رفض استقباله وأن كان البريدي يتطلع إلى الرجوع إلى بغداد وتولى أمرة الأمراء فعلا فما السبب في عدم بقائه مدة طويلة في بغداد(٦)، السبب في ذلك يعود للآتي:

**أولا**: أن الخليفة المتقي كان معتقدا أن مثل البريدي لا يمكن أن يكون المنفذ للدولة مما هي فيه.

(١) ابن الأثير، مصدر سابق، ج٩، ص١٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص١١١.

(٣) المصدر نفسه، ص١١٧.

(٤) ابن الأثير، مصدر سابق، ج٩، ص١٢٧.

(٥) المصدر نفسه، ص١٣١.

(٦) المصدر نفسه، ص١٣٢.

**ثانيا:** كان في بغداد جيش الحضرة[١]، به كثير من الديلم الذين هاجروا ودخلوا في عداد الجيش وكانوا حزبا كبير يقارب الحزب التركي وهذا الحزب الديلمي هو الذي وقف معارضا للبريدي حتى اضطره للخروج من بغداد[٢].

**ثالثا:** مع اشتهار البريدي بالكرم لم يسلك سبيلا مستقيما بل أخذ يضع العراقيل في وجه الخليفة للوصول إلى مصالحه الشخصية، والتقليل من قيمة الخليفة والسعي لإذلاله[٣].

**حالة الخلافة في عهد إمرة الأمراء:** إن حالة الخلافة في عهد إمرة الأمراء تشبه حالة ملوك الميروفنجيين المتأخرين الذين كانوا أشبه بألاعيب في أيدي نظار السراي، والذين لم يعد لهم من الأمر شيء إلا ما كان من ظهورهم في الحفلات الرسمية، وفيما عدا ذلك عاشوا عيشة العزلة في احدي ضياعهم[٤].

إن نفوذ الخلافة في عهد آخر أمرائها قد عاني العامة فيها من الضغوط الاقتصادية فعاسوا فسادا وانقضوا على الحمامات العامة وأخذوا ثياب من فيها. وكثرت المصادرات وتفاقم شر اللصوص، وشكا الناس من غير جدوى كما انتشرت الفوضى والمنازعات وساءت حالة العراق[٥].

حالة الدولة العباسية أصبحت من الضعف بحيث لم يتمكن الخليفة الراضي من دفع أرزاق الجند ولا من الحصول علي ما يكفيه من أجره للاستنجاد بأبي عبد الله الحسن البريدي وظلت الحالة حتى توفى ٣٢٩هـ[٦].

وقد وصف ابن الأثير الدولة العباسية في عهد الراضي في هذه العبارة فقال: (ولم يبق للخليفة شيء من صلاحياته إلا القليل فكانت كل السلطات في يد ابن الرائق فكانت منطقة خوزستان على يد البريدي وفارس في يد عماد الدولة بن بويه وكرمان في يد أبي عمر على محمد بن الياس والي أصبهان والجبل ركن الدولة بن بويه ونيد شمكير أخي مرداويج يتنازعان عليها والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد عبد الرحمن ابن محمد الملقب بالناصر الأموي وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن أحمد الساماني وطبرستان وجرجان في يد الديلم والبحرين واليمامة في يد أبي طاهر (القرمطي) [٧].

**ابن رائق أمير الأمراء:** كان الزعيم الذي ترأس الجند، وكان يجمع بين السلطتين الحربية والمدنية، والوزير إلى جانبه ليس إلا كاتبا أو وزيرا خاصا بالخلفية، استعان بالبريدي للتحكم في أمر الدولة. أما البريدي (هو كورتكين الديملي) فرجل

---

(١) جيش الحضرة: يتكون من الديلم الذين هاجروا ودخلوا في أعداد الجيش، وأعطيت لهم سجلات بدخولهم في الخدمة، وأصبحوا عساكر نظاميين، وكونوا حزبا كبيرا يقارب الحزب التركي بل يزيد عليه، أخذ الجيش معارضا للبريدي حتى أجبر البريدي للخروج من بغداد، ابن الأثير، مصدر سابق، ج٨، ص١٣٢.

(٢) ابن خلدون مصدر سابق، ج٣، ص٤٠٨.

(٣) ابن الأثير، مصدر سابق، ج٩، ص١٣٤.

(٤) مسكوية (أبو علي أحمد بن محمد)، تجارب الأمم، (ب،د)، القاهرة، ١٣٢٢- ١٣٣٣هـ/ ١٩٦٤- ١٩٦٥م، ص٣.

(٥) الصولي، كتاب الأوراق قسم أخبار الشعراء، رج هيوارت دن، القاهرة، ١٩٣٤م، ص١٢٢- ١٣٥.

(٦) المصدر نفسه ١١٢- ١١٣.

(٧) ابن الأثير، مصدر سابق، ج٩، ١٢٩هـ- ١٣٠هـ.

طموح وصل في سلك الإدارة إلى الوظائف العالية. نهضت العصبية التركية تبحث لنفسها عن رئيس قوي يستطيع أن يتحكم في الموقف فاستدعى ابن رائق للمرة الثانية[1].

وصل ابن رائق إلى منصب إمرة الأمراء بسهولة وسلك مع البريدي ما سلكه مع بجكم فصار البريدي وابن رائق شريكان في الحكم إلا أن ابن رائق تتبع الديلم وشكل بهم يريد بذلك إضعاف هذا الحزب ليتحكم في القيادة العليا[2].

لم تدم العلاقة بين البريدي وابن رائق فعزل البريدي من الوزارة وجيش جيوشه، وخرج إلى بغداد فاضطر ابن رائق والخليفة إلى الهروب أمامه إلى الموصل والتجأ إلى بني حمدان[3]، واستولي البريدي على إمرة الأمراء ودخل بغداد للمرة الثانية[4].

كان بنو حمدان يقومون بالغزو ضد الروم وكان لديهم وظيفتهم الثغرية كانت تعود عليهم بالاحترام في أعين الناس وتحيطهم بعطف جميع المسلمين فتدخلهم كان موقعة إصلاح وقومي.

أرادوا أن يطهروا الجو أولا بأن يتخلصوا من ابن رائق وقتلوه ثم عادوا بالخليفة نحو بغداد فخرج منها البريدي بكل بساطة، وأسند الخليفة أمرة الأمراء إلى الحسن بن عبد الله الحمداني ولقبه ناصر الدولة والذي شهد عصره إصلاح الأحوال الاقتصادية[5].

وجود الحمدانيين وسط المعسكر أحدث فتنة بين الجند، تزعم توزون الديلمي حركة شغب كبيرة حتى تضجر سيف الدولة من السلوك الذي أتصف به الجند، فقرر بنو حمدان العودة إلى الجزيرة ليتفرغوا لواجبهم الثغري وآلت إمرة الأمراء لأبن توزون[6].

**توزون أمير الأمراء:** صارت قوم الديلم هي القوة المتحكمة في مركز الخلافة، وتضائل شأن الحزب التركي، فلم يستطيع أن يستعيد مركزه مره أخرى لأن إمرة الأمراء صارت بيد الديلم حتى نسلمها بنو بويه وهم من الديلم[7]، يعتبر توزون أهم الأمراء الذين تولوا قبل العصر البويهي فقد استطاع أن يغتصب المنصب من متنافسين قويين هما الحمدانيون والبريديون وبهذا أثبت أنه أثوى من ابن رائق وبجكم في صدر الحمدانيين[8] أحس بعظمة السلطان الذي اجتمع في يده فلم يرع للخليفة المتقي حرمته حتى ضاق الخليفة فخرج من بغداد لاجئا إلى الحمدانيين الذين لم يستطيعوا مساندته[9].

---

(1) المصدر نفسه، ص١٣٢.

(2) المصدر نفسه، ص١٣٤

(3) بنو حمدان، يبدأ تاريخهم بعد ناصر الدولة ٣١٧- ٣٥٨هـ، ينتسبون إلى حمدان بن حمدون من قبيلة تغلب العربية الأصل التي قامت في ضواحي مدينة الموصل. وقد قام حمدون بدور هام في الحوادث السياسية التي وقعت في مدينة الموصل (٢٦٠هـ/ ٨٧٣م)، وقد تحالف مع هارون الشادي الخارجي (٢٧٢هـ)، واستولى على قلعة ماردين، فحاربه الخليفة المعتضد (٢٨١هـ) فهرب حمدان تاركا ابنه الحسين

(4) ابن خلدون، مصدر سابق، ج٣، ص٤١٢

(5) الصولي، كتاب الأوراق، ص٢٢٨.

(6) ابن الأثير، مصدر سابق، ج٩، ص١٤٠- ١٤١.

(7) المصدر نفسه، ص١٤٢- ١٤٤.

(8) ابن خلدون، مصدر سابق، ج٣، ص٤٤٥- ٤٤٦.

(9) ابن الأثير، مصدر سابق، ج٩، ص١٤٨.

تحايل توزون على الخليفة بالوعود حتى عاد الخليفة إلى بغداد وكان يخشي أن يعين توزون خليفة غيره عاد الخليفة وقدم له توزون كل فروض الطاعة ظاهريا ولكنه أوعز إلى بعض أصحابه قبضوا على الخليفة وأجبروه على خلع نفسه ثم سلموا عينيه، وبهذا وقع الخلفاء تحت يد الديلم كما كان من قبل تحت يد الترك وإن كانوا لم يتعرضوا للقتل إلا أنهم تعرضوا للإهانة والتعذيب وفقد الهيبة(١).

عزل توزون الخليفة واستطاع أن يختار غيره يكون طوع يديه، وذلك هو المستكفي، ومن هنا نرى ما وصل إليه توزون من قوة، ومقدار ما وصلت إليه الخلافة من ضعف، ثم توفى توزون وخلفه ابن شيراز، وفي عهده قدم البويهين إلى العراق فحلوا محل إمرة الأمراء، وبدخولهم بدأ العصر البويهي الذي استمر من ٣٣٤هـ إلى ٤٤٧هـ(٢).

## الخاتمة:

إن المتتبع لهذه الحوادث المتشابكة الكثيرة التعقيد يلاحظ أن الترك كانوا يعبثون بالخلفاء دون نظام معين أو خطة محكمة تعوذهم لغاية معينة بل كانوا يسعون إلى المال والسلطان. كما أنهم لم يكونوا على وفاق فيما بينهم والغيرة تمزقهم ولكن عندما يجدون أن الأمر سيخرج من أيديهم يتكاتفوا، بل كانوا لا يعرفون من هو الخليفة أو الوزير الذي يلائمهم ويسير حسب رغبتهم ولم يتركوا للخليفة فرصة إختيار وزرائه لذلك حدثت الفوضى والإضطراب.

## النتائج:

- زوال هيبة الخلافة في نظر المسلمين وفي نظر أعدائهم.
- ادى ضعف الخلافة إلى تزايد ظاهرة الدويلات المستقلة عنها شرقا وغربا.
- ظلت الخلافة موجودة لكنها كانت اسما وليس فعلا.
- اضعاف فكرة توحد المسلمين وأن يكون لهم خليفة واحد وبالتالي مركز واحد، عليه طغت فكرة الدولة القطرية.
- اظهار عدم قدرة العرب على الحكم وجعل في حالة بحث عن البدائل لدرجة اننا نبحث الآن عن مهدي ينقذنا.

## التوصيات:

- هناك حاجة ضرورية وملحة لدراسات وافية وعميقة لتاريخ الترك في العالم الإسلامي وفي عهد الدولة العباسية على وجه التحديد.
- اعادة قراءة فترة الحكم العثماني للبلاد العربية لأن فيها الكثير من الدروس والعبر.
- الاهتمام والتشجيع لدراسة اللغة التركية وقيام مراكز الدراسات التركية.

(١) الصولي، كتاب الأوراق، ص١٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص١٨٢.